مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 14 العدد: 01 السنة 2022 ص 382 - 397

تاريخ الإرسال: 2020/10/01 تاريخ القبول: 2022/01/17
تاريخ النشر: 2022/03/17

المضمر الثقافي في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" لمعمر حجيج (الحدود و التمثلات)

The cultural scene in Muhajir's novel awaits al-Ansar for Maamar Hadjij (Boundaries and representations)

شهيناز بوصبع [1]، نجوى منصوري [2]
[1] chahinez.bousbaa@univ-batna.dz ،جامعة باتنة-1-(الجزائر)
[2] nejouan@gmail.com ،جامعة باتنة-1-(الجزائر)

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في النسق الثقافي المضمر من حيث حدوده الاصطلاحية والمفهومية من منظور النقد الثقافي، ومن حيث تمثّلاته النصية في رواية " مهاجر ينتظر الأنصار" للروائي الجزائري "معمر حجيج" والتي تتمتع بقدر من الخصوصية الجمالية والفكرية تضمر دلالات ثقافية تختلف عما تصرح به في الظاهر، وتشكل احدى صور مساءلة الذات الكاتبة لواقع اجتماعي، أو لثقافة سائدة.

الكلمات المفتاحية: المضمر الثقافي، الرواية، الحدود، التمثلات.

Abstract:

This study examines the cultural pattern that is embedded in terms of its conventional and conceptual boundaries from the perspective of cultural criticism, and in terms of its textual representations in the novel « Muhajir Waiting For Supporters » by the Algerian novelist « Maamar Hadjij », which has a degree of aesthetic and intellectual specificity, and includes cultural connotations different from what it says in the phenomenon, and constitutes one of the

images of self-accountability written for a social reality, or a dominant culture.

Keywords: Cultural embedding, novel, boundaries, representations.

المؤلف المرسل: شهيناز بوصبع، CHAHINEZ.BOUSBAA@UNIV-BATNA.DZ

1. مقدمة:

تعد الأنساق المضمرة من المفاهيم المركزية للنقد الثقافي، وهي تشكل البنية الثقافية التي تتكون عبرها البنيات النصية، وتختفي تحت عباءة هذه النصوص، فيكون لها دور فاعل في توجيه العقلية الثقافية وذائقتها، ورسم سيرتها الذهنية والجمالية لدى القارئ. بحيث يتمثّل النسق المضمر في النص الأدبي تجارب ذاتية أو جماعية، فتحدث خصوصية جمالية لا ترتبط بالشكل الفني وحسب، وإنما بالتشكيل الثقافي كذلك.

وتحت هذا التصور تقارب هذه الدراسة النسق الثقافي المضمر وحدوده المفهومية من منظور النقد الثقافي، ثم تبحث في تمثلاته النصية في رواية مهاجر ينتظر الأنصار للروائي الأوراسي معمر حجيج.

إن تعرية الأنساق المضمرة في النص الروائي الحداثي من حيث كونها آلية نقدية، وتمثّل نصي يطرح انشغالات تنساق في الشكل الآتي:

ماهي حدود مصطلح "النسق الثقافي المضمر" في الكتابات النقدية الثقافية وبخاصة عند عبد الله الغذامي؟ وكيف يمكن أن تتشكل الأنساق الثقافية في السرد الروائي من خلال المشترك الثقافي؟ ماهي تمثلات النسق الثقافي المضمر و تشكلاته النصية في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار" عبر مساءلة السائد الثقافي ؟

2. حدود مصطلح " المضمر الثقافي" في الكتابات النقدية الثقافية (عبد الله العذامي):

ارتكز مشروع الغذامي الثقافي على جملة من العناصر والآليات التي تنسل عن القول الثقافي والتي يمكن اعتبارها من المفاهيم التي يبحث عنها النقد الثقافي في المنتج الانساني، ولعل "النسق المضمر" أحد أهم تلك المرتكزات التي يقوم عليها هذا المشروع الثقافي .

تتشكّل المضمرات في مفهومها الأولي عبر أنساقها الثقافية والتاريخية وتتكون عبر البيئات الثقافية والحضارية للنصوص، فهي فاعلة ومؤثرة، ولها وظيفة تتجاوز وجودها المجرد في النص، وعلى هذا الأساس ارتكز المشروع النقدي عند الغذامي على نقد الأنساق، فالنسق ها هنا مرتبط بكل ما هو مضمر، ولذلك تختفي الأنساق الثقافية المسكوت عنها تحت عباءة الأنساق الظاهرة

يأتي النقد الثقافي عبر فعاليته المنهجية و الإجرائية ليكشف عن الأنساق المضمرة عبر الحفر والتأويل والتفكيك والتحليل النفسي لهذه الأنساق... ويعيد لها فاعلية وجودها بعد ضمورها جاعلا منها عناصر مترابطة متفاعلة وربما متمايزة في كفاءتها، لكنها في الوقت ذاته تسيطر على الذائقة القارئة عبر سيطرة المخزون الثقافي، فهو من جهة يعيد لهذه الأنساق حياتها بالكشف عنها من بعد ضمور ، لكنه من جهة ثانية يكشفها أيضا لمستهلكيها عن غير وعي وكأنه في ذلك يقتلها بإحيائها.

والنسق الثقافي هو وليد الثقافة في أي مجتمع من المجتمعات، فهيّ تحمله جنينا في بطنها، ويظل ينمو في رحمها إلى أن يستوي ناضجا، فيمارس دوره الفاعل في المجتمع، مؤثرا في تفاصيل حياتها، متحكما في مفاصلها موجها لسلوك الأفراد والجماعات شعروا بذلك أو لم يشعروا، رضوا أم لم يرضوا. وذلك لأن النسق عموما

لا يتشكل خارج إطار الثقافة التي تغذيه وتمده بأسباب الحياة والنمو، فهي كالتربة بالنسبة للنبات تغذيه مما في أوعيتها من عناصر الحياة، حتى إذا نما و استوي واكتملت دورة حياته تساقط وتحلل، فازدادت به التربة قوة وخصوبة"[1] ذلك حال النسق الثقافي فهو يتشكل في أوعية الثقافة السائدة ويكتسب منها قوة التأثير في السلوك والقيم والأفكار والتصورات، عموما مجالات الحياة ومن ثمة "كان النسق الثقافي عبارة عن مواضعة اجتماعية، دينية أخلاقية لحظة معينة من تطورها في الوضعية الاجتماعية والتي يقبلها ضمنيا المؤلف والجمهور."[2] فالنسق الثقافي ليس مجرد تصور ذهني، بل هو فعل أو حركة تجسدها أنماط من السلوك الاجتماعي لدي جماعة بشرية ما، إنه موقف وليس مجرد قيمة رمزية أو معنوية فحسب بل هو فعل يتحرك في إطار الثقافة التي أنتجته.

وتبعا لهذا التصور يمكن اعتبار كل ظاهرة في النص نسقا مضمرا يحمل في طياته طاقه متجددة تجددا خارجيا يحصل بتفاعله مع محيطه؛ فالأنساق المضمرة هي" مكامن ثقافية وتاريخية وأسطورية تتستر وفق نظام جمالي في النصوص أو ما كان في حكم النصوص من أعمال فنية أخرى تتواطأ معها أنساق مشابهة لها مركزه في اللاشعور الجمعي وذلك للمحافظة على هيمنة الأنماط التاريخية والثقافية والاسطورية المتواضع عليها سلفا."[3] ولذلك تضيء الأنساق المختبئة تحت طيات النصوص ثقافة العصر المصاحب للنص بل عصور أخرى سابقة له مستبطنة فيه ، وكذلك عن المخزون الثقافي والتاريخي الذي طواه النص.

وأما عن الحدود المفهومية التي يمكن ادراجها في مفهوم الأنساق المضمرة، قول عبد الله الغذامي إنها" أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها لعمل عملها الترويضي."[4] كما أنها في مفهوم آخر لا يبتعد عن الحد الأوّل: " كل دلالة نسقية مختبئة تحت غطاء الجمالي ومتوسلة بهذا الغطاء لتغرس ما هو جمالي

في الثقافة."[5]، وبذلك يكون النسق دلالة مضمرة وهذه الدلالة ليست مصنوعة من المؤلف ولكنها منكبسة ومنغرسة في الخطاب، مؤلفاتها الثقافة ومستهلكوها جماهير اللغة من كُتاب وقُراء يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير والنساء مع الرجال والمهمش مع السائد، فالغذامي يشير من خلال الحدين السابقين إلى وجود نسق يتوارى خلف الدلالة الصريحة أو المعنى الظاهر وهذا ما يسعى النقد الثقافي إلى إظهاره وإبرازه.

وقد حدد المشتغلون بالنقد الثقافي، وعلى رأسهم عبد الله الغذامي، شروطا للأنساق المضمرة يمكن إجمالها في الآتي:[6]

–أن يكون في الموضوع المعني بالدراسة سواء أكان خطابا أو نصا أو ما كان في حكمهما وجود لنسقين اثنين يحدثان معا في آن واحد.

–أن يكون أحد هذين النسقين مضمرا وأن يكون الآخر علنيا.

–أن يكون الموضوع المعني بالدراسة سواء أكان نصا أو خطابا أوما كان في حكمهما جماليا بحكم أن الثقافة تتوسل بالجمالي لتمرير أنساقها وترسيخ هذه الأنساق.

–أن يكون موضوع الدراسة نصا أو خطابا أوما كان في حكمهما ذا قبول جماهيري ويحظى بمقروئية عريضة أو إقبال عريض حتى يتبين ما للأنساق من فعل عمومي جمعي ضارب في الذهن الاجتماعي والثقافي وذلك لأجل الكشف عن آليات الاستقبال والاستهلاك الجماهيري وكذا عن حركة النسق وتغلغله في خلايا الفعل الثقافي الجماهير.

كما تعتبر هذه الشروط التي يعتمد ها النقد الثقافي، شروطا وصفية تعمل على إبراز الحيل التي تعتمد عليها الثقافة في تمرير أنساقها، وما يُمكن لهذه الأنساق أن

ترسخه في الذهن الاجتماعي والثقافي، وذلك بفضل حيل بلاغية تعتمد المجاز والتورية.

3. الأنساق الثقافية في السرد الروائي من خلال المشترك الثقافي:

تعد الأنساق الثقافية ثمرة التفاعلات الاجتماعية على امتداد العصور وتحولاتها المستمرة بفعل التطورات التي تشهدها المجتمعات البشرية، ففي رحم هذه التحولات والتطورات والتفاعلات تتشكل الأنساق وتنمو وتخرج من حيز القوة إلى حيز الوجود فتصطبغ بها المواقف ويتشكل بها الوجدان، وينضبط بها السلوك، وتغدو قيمة حياتية ومعيار تقاس به السلوكيات والتصرفات، وتحدد ملامح شخصية الفرد والجماعة.

وتختفي الأنساق الثقافية متخللة خلف النصوص الأدبية، حيث "تنتشر في البنية اللسانية النصية متوسلة بنياته الجمالية غطاء للاختفاء من عيون الرقيب العقلي الواعي الماثل في القيم الاجتماعية السائدة والمكرسة عرفيا وسياسيا وأخلاقيا وجماليا وإيديولوجيا، والنافية لكل قيمة لا تتماشى معها فكريا أو نفسيا أو اجتماعيا، لأنها في نظر المؤسسة القائمة والمهيمنة غير جديرة بالتبني والحصول على تأشيرة الاعتراف في البيئة الاجتماعية الرسمية لأنها من القيم الهامشية والسوقية المبتذلة والعامية الطبقية السفلى وكلها قيم تنتمي إلى القاع الاجتماعي المترسب في البنية الثقافية الشعبية التي لا ينبغي أن تتمظهر في بنية النص الأدبي الرسمي باعتبارها الواجهة الأمامية للمركزية الثقافية المهيمنة التي تتحكم في إنتاج النصوص وتسويقها، واستهلاكها، وتتحكم في الذائقة العامة للجمهور وفي عملية تلقي النصوص، بل وفي استجابة القارئ؛ ذلك أن الأنساق الثقافية المضمرة تتميز بقدرتها على الاختباء والتخفي، بحيث نجدها تنفلت من قبضة المعايير الصارمة التي يخضع لها الخطاب الجمالي ويمتثل لها.

فلا تتكشف إلا بالحفر في الخطاب الجمالي بوصفه بأهم الوسائل التي يتخفى وراءها النسق الثقافي المضمر ومن ثم تعتبر الخطابات الجمالية وبلاغيتها علامة ثقافية لا جمالية محضة كما هي في النقد الأدبي الجمالي لها مقاصد مباشرة وغير مباشرة."[7]

يعد الخطاب الأدبي نصا ثقافيا أو تورية ثقافية، وجه ظاهر أو قريب ووجه باطن أو بعيد، فأما الظاهر أو القريب فهو متنه الجمالي بما ينطوي عليه من بلاغيات وجماليات ودلالات متعددة، ومجازات واحتمالات التأويل الكثيرة، وأما الباطن أو البعيد فهو المتن المضمر أو النسق المضمر الذي يتمتع بسلطة التحكم في المبدع والمتلقي «فالخطابات والأنماط الثقافية والسلوكيات هي تورية ثقافية، فيها المعني القريب والمعنى البعيد، حيث القريب هو ما تعارفنا عليه كمتن جمالي تتعدد دلالته وإجازاته وتضميناه، ويتنوع تأويلنا له كل ذلك في منطقة الوعي المعرفي والعقلي، ومن تحت ذلك هناك مضمر نسقي يلعب لعبته الرمزية حيث هو جبروت رمزي متحكم وبه تتشكل الدلالة النسقية."[8]

وذلك ما يجعل الناقد الثقافي يتوخى الحفر في تضاريسه عما هو مخبوء تحت البنية اللسانية لإبرازه و تعريته وبيان أثره الفاعل ودلالته النسقية في الأفراد و الجماعات والسلوكيات. كل ذلك باعتبار النص الأدبي خطابا ثقافيا لا جماليا محضا يخفي في طبقاته أنساقا مضمرة لها وقعها وتأثيرها في بلورة الفكر والسلوك والمواقف.

فاذا كان النص الأدبي حادثة ثقافية فمعنى ذلك أنه غير معزول عن المجتمع الذي شهد ميلاده وتشكله انبثاقه باعتبار أن المجتمع هو الحاضنة تحتضن تكون النص؛ أي أن "الأديب يستمد مادته الفنية وصوره...من خلال ثقافة التفاعل مع مجتمعه ثم يبرز نسقان: نسق جمعي ويضم ثقافة القبيلة أو الأعراف والمرجعيات المتصلة بهذا النسق ونسق فردي: يرتبط برؤية المبدع الذاتية للآخر والمجتمع والقبيلة وللوجود."[9]

أي أن "صورة النسق الفردي يتجاذها موقفان، موقف الانتماء الى النسق الجمعي والوقوع تحت هيمنة القسرية أو التمرد والخروج على هذا النسق لتشكيل عالم الذات".[10]

فالنص بحكم انتمائه إلى ثقافة معينة فإنه يحمل في طياته ترسبات هذه الثقافة بسلبياتها وايجابياتها، بخيرها وشرها بألمها و أملها بماضيها وحاضرها لأن النص الأدبي تركيب مزدوج يتمظهر من خلال بنيتين بينة لسانية جمالية وبنية فكرية ثقافية تعد الخلفية المرجعية والإيديولوجية والفكرية للنص، والتي هي بمثابة شفرات ثقافية تفتح النص على التأويل وتستهوي المتلقي للاندماج عالمه المتعدد والمختلف مما يحز أفق توقعاته.

يعد السرد الروائي عموما والجزائري على وجه الخصوص، ميدان الأنساق المضمرة، فهو المحراب الذي يتعبد فيه، ويمارس في رحابه طقوسه، فيختبئ وراء قناع الجمالي ليمرر معانيه الناقمة عادة على المجتمع، والأكثر تأثيرا عبر الزمن في العقول والسلوك، فلا نجد غضاضة في أن نستقبله ونتفاعل معه ذلك لأنه يوافق نسقا قديما رابضاً في لا وعينا؛ "فهو ليس جديدا أو طارئاً بل هو امتداد لنسق قديم متوارث ثاوٍ في لا شعورنا الجمعي، ويعد محركا أساسيا لكل الأنساق المضمرة الجديدة."[11]

وانطلاقا من هذا التصور سنحاول تحديد النسق المضمر عبر تشكلاته النصية في احدى النماذج الروائية التي تحاول مساءلة السائد الثقافي وذلك من خلال نص رواية *مهاجر ينتظر الأنصار للروائي "معمر حجيج"، فهذا النص يتمتع بخصوصية جمالية وفكرية و يضمر تمردًا سلوكيا وثقافيا يخالف ما يصرح به ظاهرهُ، مما يجعل منه مسرحا للمضمر الثقافي ضمن نسيج نصي مراوغ يسعى في

لعبة زئبقية يصعب الإمساك بدلالتها الثقافية، إلى تحقيق غاية جمالية وغاية ثقافية يأبى الخطاب الجمالي التصريح بها علنا.

يحاول المضمر الثقافي في رواية مهاجر ينتظر الأنصار تحويل فعل القراءة لدى متلقي النص من البحث النصي والجمالي إلى البحث الثقافي، بالتعمق في المجتمع وما يترسب فيه من رواسب الماضي البعيد والقريب، وما يصطرع فيه من اتجاهات اجتماعية ذات أبعاد دينية، وتاريخية وسياسية ونفسية وفكرية، وذاتية ...يختزلها مدلول مركب مهيمن، تنسال منه أحداث الرواية، ويوجه شخصياتها ويشكل صراعها، ويقع كل ذلك بين نسق نصي ظاهر ونسق مسكوت عنه.

4. الحدود الاجرائية للنسق الثقافي المضمر في الخطاب الروائي:

تعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية في العصر الحديث، فهي تمثل منعطفا تاريخيا فاصلا في حياة الشعوب، بحيث أصبح وجودها حاجة من حاجات الإنسان في كونها الصوت الذي بواسطته يسمع البعض أنين البعض الآخر، ومعرفة مستوى معيشتهم وحتى مستوى سعادتهم وما بلغوه من رفاهية،" فالرواية نمط سردي قصصي طويل يهدف إلى حل عقدة ما ويتوسل إلى ذلك بتوظيف الشخصيات، والأحداث والأفكار والزمكان في منظومة متفاعلة، متشابكة، يحكمها إيقاع أو إيقاعات عدة وقد تنتهي بحل العقدة التي تهدف إلى حلّها وقد تنتهي بغير ذلك."[12]

تأتي الرواية لتعالج قضايا المجتمع ضمن إطار الحركة الطبيعية للمجتمع من أجل تحديد عدة أهداف منها: الحفاظ على الثوابت والموروث، ومنها مواجهة الظواهر التي لا تتناسب وواقع المجتمع وثقافته، والدعوة إلى مواكبة التطور، وإحداث التغيير بما لا يتعارض مع ثوابت المجتمع. وفي كل الأحوال تعد الرواية إحدى أهم الوسائل التي يتم بواسطتها تسليط الضوء على قضايا ملحة والكشف عنها، فهي تعمل على كشف النسق المخفي أو المخاتل أو المسكوت عنه، وان كان ظاهرا أي ليس

بالضرورة أن يكون مخفيا لكنه أصبح أسير رؤية عرف اجتماعي، استدعت السكوت عنه أو أقرت عدم البوح به.

عادة ما تسلط هذه الأنساق الضوء على الأنظمة أو الأعراف الثقافية والاجتماعية، " بحيث يصبح النص الأدبي حادثة ثقافية نسقية تستأهل قراءة نقدية فاحصة للسياقات التاريخية والأنساق والتمثيلات الثقافية بوصفها تمثيلات ماكرة."[13] ودراسة اتجاهاتها ومدى مواءمتها للواقع لاسيما الواقع الجديد، لأن عجلة الزمن في حركة دائبة وليست في حالة سكون، وفي تجدد ،كما أن المقبول اليوم قد لا يكون مقبولا في الغد، وهو ما يؤكد حالة الالتلام بين الأجناس الأدبية ومنها الرواية وبين الواقع، وأهمية تتبع حركة هذا الواقع ورصدها رصد العارف، والمتفاعل والهادف لأن الكاتب بشكل عام لابد ان يكون جزء من حركة المجتمع و تطوره، فهو يكشف أمامنا العلاقة الوطيدة بين النسق والرواية ولاسيما النسق المضمر منه، لأن الكاتب الواعي يرصد المخفي و المخاتل.

ذلك أن الخطابات تحمل "نسقين لا معنيين أحدهما واع والآخر مضمر، وهذا يشمل كل الأنواع الخطابات الأدبي منها وغير الأدبي، غير أنه في الأدبي أخطر لأنه يتقنع بالجمالي والبلاغي لتمرير نفسه وتمكين فعله في تكوين الثقافي للذات الثقافية للأمة."[14] بحيث لا يمكن أن تتحقق الوظيفة النسقية إلا من خلال توافر عنصرين متناقضين أو نسقين أو نظامين متعارضين أحدهما ظاهر علني والآخر مضمر خفي ناقض للأول وناسخ له، على أن يلتقيا في مضمار نص جمالي واحدا فيما هو في حكم النص الجمالي.

كما نشير في هذا الصدد إلى "أن الإضمار وعدم التصريح بالقصد هدف من أهداف القول وجمالية من جمالياته وهو حاضر في الشعر كحضوره في النثر وذلك مراعاة للظروف المحيطة سواء المقصود عدم استثارة الآخرين بالإفصاح

والتصريح والابتعاد عن الحرج والحساسية أو نتيجة لموانع دينية وشرعية أو ان مقام الأديب والشاعر يتطلب عدم التصريح ببعض المواقف نتيجة للأبعاد السياسية والاجتماعية التي قد تترتب عليه وهو أمر يعكس حنكة الروائي وقدرته على الإدارة بصورة لا تُعرض أرضه للضرر لاسيما في ظل وجود قوى متربصة في تلك الفترة التي جعلت الحكمة والتروي يغلبان على أسلوب الكاتب الذي يعبر عما يختلج في خاطره من أحداث وروايات وقصص وشعر فيكون بذلك مغزاه خافيا تارة ومعلنا تارة أخرى حسب متطلبات الموقف والمرحلة واللجوء في بعض الأحيان إلى التلميح بعيدا عن متاعب التصريح في مواقف."[15].

4. تمثلات المضمر الثقافي في رواية "مهاجر ينتظر الأنصار":

حاولت رواية «مهاجر ينتظر الأنصار" أن "تعاج جدلية الأنا والآخر والتناقضات القائمة بين الشمال المتعجرف والجنوب المهزوز الذي يبحث عن الفردوس في الهناك."[16] . ومن تمثلات النسق المضمر الطاغية في الرواية نجد ذاكرة الصراع مع الآخر الذي يحاول تدمير الأنا(الذات) التي تعتبر كيانا ذاتيا محضا تتلخص فيه منظومة من العلاقات الاجتماعية والقيم والرؤى والتصورات، اذ تشكل نسقا يخضع له الجميع ممن ينضوي تحت ثقافة معينة، ومن أهم ما تتسم به هذه الأنا(الذات) التي تبدو متماسكة وهي في الواقع مشتتة وممزقة الأوصال، وقائمة على الأقطاب المتجاذبة والأركان المتناقضة لأن النفس البشرية هي في محصلتها منظومة من النوازع المتباينة والرغبات المتناقضة.

وبالنظر في عنوانها نجده يحمل دلالة الهروب والخروج من حياة مفرغة، مادية تقدس المادة والانسان ، فمن خلال العنوان يمكن فهم أحداث الرواية وشخصياتها في علاقاتها المختلفة، فالشمال أي الآخر المتقدم المتحرر من المقدس يريد اختراق الأنا أي الجنوب المتخلف والمختلف، حيث تقوم العلاقة بين الأنا

والآخر على التضاد، فالانا مزال تابعا يريد أن يدخل التاريخ فخرج من الجغرافيا على حد قول غسان زيادة.[17] "فالآخر يناصب العداء للانا الذي مزال هو الأنا بصبغته المأسوية أو بهروبه الدائم إلى الأمام أو المراوحة بين "الهنا" و "الهناك" بلا أفق ولا أمل في المستقبل، والأخر مازال في حالات كثيرة هو الآخر استعماريا متعجرفا لا يحضر الآخرون في ثقافته إلا باعتبارهم ما يثير عوالم السحر والبداوة والتخلف والدونية."[18])[19] هذا ما يرصده هذا المونولوج للشخصية المحورية« سامحك الله أستاذي الفرنسي الذي أسلم وكان مغرما بالتعرف على المجتمعات الإسلامية وطوائفها لحاجة في نفس يعقوب أو لحاجة من الأوهام المعششة في العقلية الكولونيا لية المريضة التي لم تجد بعد دواء يستأصلها » [20]فالرواية تتحدث عن علاقة الأنا بالآخر "الشمال" المتفوق الذي يمثل المركزية التي تستحكم في الجنوب المتخلف الساحر.

كذلك تجسد لنا هذه الشخصية المحورية "مراد "ازدواجية الأنا وانشطارها، فمراد عاد إلى الجزائر وبالضبط إلى جنوبها*غرداية* فقد أتى من بلد أستعمر الأنا، حطم أسطورة الفوقية والمركزية والتعالي الفرنسي ورجع هذا الآخر عن طريق الأنا التي ارضعها وعلمها كيف تخترق ذاتها، يقول مراد: «كنت في غاية السعادة والتشوق لأطل على وجه غرداية لأول مرة...ستكون بالتأكيد مدهشة ستكون كعروسة الصحراء بكامل زينتها لتستقبلني بأحضان المودة والكرم... » [21]

كان مراد يطارد المرأة الميزابية وكأنه يطارد زئبقا، فلم تكن هذه المطاردة سوى مجالا لدراساته وبحوثه من أجل الارتقاء العلمي، فهذا ما تعبر عنه "خولة" احدى شخصيات الرواية من خلال الراوي «تسمرت خولة متعجبة من هذا المخلوق الجميل السربوني التي تبدو ملامحه منقسمة بالتساوي بين ملامح جزائرية تزاحمها أخرى لم تعرف جنسيتها بعد... » [22]فهو بهذا يعيش "ذاتا ممزقة انشطرت إلى ذاتين

فتماهت الغيرية مع الذاتية. فمراد حاول أن يخترق المجتمع الميزابي المحافظ لخوض غمار بحثه فهو يقول:« أن بني ميزاب قد اختارتهم الصحراء لتفشي لهم أسرارها لأن خزائن ذاكرتهم غنية وعريقة، وغير مثقوبة ومتخمة بعبق تاريخ الصامدين فوق ظهرها...هل يمكن لي أن أراوغهم وأثقب ذاكرتهم ولو بإبرة صينية دقيقة لتفشي لي ببعض حقائقهم الباطنية » [23]ولكن محاولات مراد بائت بالفشل فقد تعامل معه هذا المجتمع الميزابي بفوقية وهذا ما تجسده شخصية "الضاوية" التي أثبتت دونية الآخر لأنها فهمت أن العلاقة مع الآخر الغرب الذي يمثله مراد الغازي، الهجين ليست علاقة توافق ومثاقفة وحوار بل هناك تقابل حاصل بين الهنا والهناك« أنت لا تعرف الضاوية هي في كل مكان وزمان يا أبله...يا أيها السربوني المغرور...ألم تسمع وأنت السربوني والأول في دفعتك كما تدعي بالزواج عن بعد، والزواج بالأنوار، والزواج بنسمات الرياح الهادئة والعنيفة، والزواج بزمجرة الرعود ولمعان البروق؟..ألم تقتنع بعد، و تقنع أستاذك السربوني المغفل روحيا والشاطر عقليا وماديا بأن تترك موضوعك القديم » [24].

أضف إلى ذلك مسألة الاضطهاد والتعذيب والتعسف التي لحقت بالشخصية المحورية في الرواية "مراد" «أثناء بحثه عن المعرفة في المجتمع المزابي فهو يقول:"...لم أر قط في حياتي ما عشته ما عانيته في رحلة العذاب وأنا ابن السوربون وخطواتي ما زالت تعشق السير على ضفاف نهر السين وشارع شانزليزيه...هذا بلد النشيد الرسمي قسما حين أسمعه تكبر الجزائر في عيني وتصغر كل دول العالم...التقط سمعنا من ضجيج اشتعل أواره بينهم اسم رقان...ضحك بعضنا ضحكة المأساة وقالوا نحن في رقان منفى الجحيم في أقصي جنوب الجزائر استرجعت ذاكرتي هول القنبلة النووية التي فجرت فيه لا أعرف أنحن القنبلة الثانية

أم هم."[25] فهنا يتجسد النسق المضمر الذي يتوارى خلف المعاني والدلالات لعدم التصريح به.

إن محاولتنا رصد أهم التمثلات، لجدلية الأنا والآخر وجدنا محاولة تجسيد الذات التي تعيش اقصى درجات الغربنة، وأقصى درجات العربنة ضمن مفارقات عجيبة.

5.خاتمة:

من خلال تتبع تمظهرات وتشكلت النسق الثقافي المضمر في رواية مهاجر ينتظر الأنصار التي تسعى إلى استظهار آفاق الخطاب المضمر تحت أطمار المتن يمكننا تقديم مجمل النتائج المتوصل إليها في شكل نقاط أساسية أهمها:

-تتقن الأنساق المضمرة الاختباء في النصوص والخطابات وما كان في حكمهما وعادة ما تتوسل تستّرها بالجمالي كي تفعل فعلها في الذائقة الثقافية في منأى من الانكشاف.

-تعد الأعمال الجمالية التي تحظى بالجماهيرية بيئة خصبة لتستر الأنساق المضمرة وتزيد كفاءة الأنساق في التستر كلما زادت جمالية العمل الأدبي وجماهيرته.

-تعد الرواية بوصفها عملا جماليا حقلا خصبا لتستر الأنساق الثقافية وممارسة فعلها في توجيه الذائقة.

-يعتبر النص الروائي من أكثر النصوص حاجة لقراءة نقدية ثقافية تكشف عن المضمرات، وعن المخبوء الذي فرضه واقع إجتماعي وثقافة سائدة.

-كشفت لنا رواية مهاجر ينتظر الأنصار عن وعي مجتمعي وفلسفة مجتمعية وذلك لأنها تشكلت ضمن جملة من العلاقات والايديولوجيات والصراعات.

– تجاوزت الرواية حدود الكتابة السردية إلى آفاق الكتابة الثقافية بجرأة وبرؤية فنية متزنة بالرغم من عدم ثبات النسق الثقافي المضمر الذي يمتلك خاصية التحول وفقا لمتغيرات الواقع والزمن.

5.المراجع:

[1]–حسين بوحسون: جدل الأنساق الثقافية المضمرة في رواية اعترافات امرأة، للكاتبة عائشة بنور، مجلة المقال almaqal، المجلد الثالث (3)، العدد5، السنة،2018، ص9.

[2]–عبد المفتاح كليطو: السرد والأنساق الثقافية، تر: عبد الكريم الشرفاوي، دار توبقال، للنشر، ط2، 2001، ص81.

[3]–عادل صياد: الأنساق المضمرة في رواية قواعد العشق الأربعون، رواية عن جلال الرومي، لإليف شافاق، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية 2016–2017، ص27.

[4]–عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة السادسة، 2014، ص78.

[5]–عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص33.

[6]–المرجع نفسه، ص32، 33

[7]–مرسل خلف الدواس: النسق المضمر في الرواية القطرية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية2018–2019، ص16.

[8]– عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مرجع سابق ،81.

[9]–يوسف عليمات: جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي، أنموذجا، ط1، 2004، ص41.

[10]–المرجع نفسه، ص41.

[11]–عبد الله الغذامي: النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، مرجع سابق، ص77، 78.

[12]–عادل صياد: الأنساق المضمرة في رواية قواعد العشق الأربعون، رواية عن جلال الرومي، لإليف شافاق، مرجع سابق، ص 15، 16.

[13]–يوسف عليمات: النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، المملكة الأردنية الهاشمية، إربد، الأردن، ط1، 2009، ص1.

[14]–عبد الله الغذامي، عبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، مرجع سابق، ص33، 34.

[15]–مرسل خلف الدواس: النسق المضمر في الرواية القطرية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعية2018–2019، ص16، 17.

[16]– وناسة صمادي: بناء العالم الروائي في رواية مهاجر ينتظر الأنصار، فعاليات اليوم الدراسي حول الأستاذ معمر حجيج ناقدا ومبدعا، جامعة باتنة–1–، المنعقد يوم 9 ماي2017، ص1.

[17]– غسان زيادة: قراءات في الأدب والرواية، إنه نداء الجنوب، دار المنتخب العربي للدارسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1451، 1995، ص99

[18]–سعيد بنكراد: السرد الروائي وتجربة المعنى، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2008، ص199.

[19]–وناسة صمادي: المرجع السابق، ص2– 3.

[20]– معمر حجيج: مهاجر ينتظر الأنصار، دار قانة للنشر والتوزيع، باتنة، ط1، 2016، ص10.

[21]–الرواية، ص10.

[22]– الرواية، ص41.

[23]– الرواية، ص10.

[24]–الرواية ص178.

[25]الرواية، ص114، 115.